

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[100] ومفهوم هذه الآية أن يعدّوا العبيد للزواج أو لا بتهذيب أخلاقهم وزيادة صلاحهم، ليكونوا بمستوى المسؤولية التي تقع على عاتقهم بعد الزواج. 3 - ما هو عقد المكاتبية؟ قلنا: إنَّ الإسلام وضع برنامج التحرر التدريجي للعبيد، واستفاد من كل فرصة لعتقهم، فكانت قضية "المكاتبية" حكماً يجب اتباعه، كما نصّت عليه الآيات موضع البحث. وتشتق "المكاتبية" من الكتابة، والكتابة في الأصل مشتقّة من "كتب" بمعنى "الجمع" أي: جمع الحروف والكلمات. وبما أنَّ العقد بين المولى والعبد يتمّ بكتابة موادّ يتفق عليها، فلذلك سمّيت "مكاتبية". فعقد المكاتبية نوع من الإتفاقات يتمّ بين المولى وعبده، يلتزم العبد فيه بإعداد مبلغ من المال من عمل حرّ، ليدفع أقساطاً لسيّده، فإذا دفع آخر قسط ينال حريته. وأمر الإسلام ألا تتجاوز هذه الأقساط ثمن العبد نفسه. وإذا عجز العبد لسبب ما عن دفع الأقساط المترتبة بزمّته، وجب أن تسدّد هذه الأقساط من بيت المال أو من الزكاة ليعتق، حتّى أنَّ بعض الفقهاء قال بصراحة: إذا تعلقت زكاة بزمّة السيّد، وجب عليه احتساب هذه الأقساط منها، وهذا العقد لازم التنفيذ، ولا يمكن فسخه من أيّ طرف من طرفي العقد. ويتّضح بذلك كيف يجعل هذا المشروع عتق العبيد يسيراً، ليعيشوا أحراراً مستقلين حتى في فترة إعداد الأقساط، كما أن أسيادهم لا يتضررون بذلك، فلا يدفعهم هذا إلحاق الأذى بعبيدهم. ولعقد المكاتبية أحكام وفروع عديدة مذكورة في الكتب الفقهية في باب المكاتبية. * * *